دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ملحوظات على الكتابة التاريخية لدي عمارة اليمني عن الحروب الصليبية
المصدر:	حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
الناشر:	الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
المؤلف الرئيسي:	سليمان، حجازى عبدالمنعم
المجلد/العدد:	ع4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	283 - 319
رقم MD:	1082295
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الكتابة التاريخية، اليمني، عمارة بن أبي الحسن بن علي، ت. 1174 م.، المؤرخون اليمنيون، الحروب الصليبية، العصور الوسطي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1082295

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ملحوظات على الكتابة التاريخية

لدى عمارة اليمني عن الحروب الصليبية

د. حجازي عبد المنعم سليمان (*)

يُعالج هذا البحث "ملحوظات على الكتابة التاريخية لدى عمارة اليمني عن الحروب الصليبية" أهمية هذا الموضوع وجدوى دراسته والصعوبات والإشكاليات التي تواجه الباحث في دراسته، ويُعرّف بعمارة اليمني (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م)[١] وبأهم مؤلفاته، إضافة إلى معالجة البحث لعدة ملحوظات بخصوص ما خطه عمارة وأرخ له بشكل موجز عن الصليبيين من خلال محور العلاقات الصليبية الفاطمية، وتتصدر تلك الملحوظات مصادر عمارة ومراجعه، ثم أسلوبه ومنهجه في التأريخ، علاوة على أوجه قصوره وعدم توفيقه، وربطه بين أغلب الأحداث التي أرخ لها عن هذه الفترة عمومًا والصليبيين خصوصًا بأبيات شعر سواء له أم لغيره، ثم عرضت لأحكامه العامة وأقواله المشهورة والإضافات التاريخية التي انفرد بها عمارة، واختلاف وصفه للصليبيين وموقفهم من الدولة الفاطمية، وأخيرًا تطعيم عمارة للأحداث الخارجية بالأحداث الداخلية في تناسق وإيجاز دقيقين ينم عن فهمه لمجريات الأحداث المحيطة والمعاصرة متمثلًا نظرة الصقر المحلق الذي يعرض للعموميات دون الإخلال بالتفاصيل.

وتنبع فكرة الدراسة من واقع المكانة المهمة التي شغلها عمارة اليمني في خضم الأحداث التي شهدت قمة الصراع الصليبي الإسلامي على مصر وسقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية وما ترتب على هذا وغيره من

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد كلية الآداب – جامعة المنوفية.

غلبة كفة العالم الإسلامي في معترك صراعه مع الصليبيين فيما تُرجم بعد قليل بهزيمة الصليبيين في حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م واستعادة أغلب مدن الساحل، علاوة على الإجهاز على مملكة بيت المقدس الصليبية.

ولا يهدف الباحث إلى اتخاذ موقف ايجابي بالتمجيد فيما سطره عمارة اليمني ولا بانتقاص قدره وإنما ديدني تقديم عدة ملحوظات على مواقف عمارة من بعض أحداث الحروب الصليبية بالصورة التي قدمته بها مؤلفاته وفي ضوء المصادر المعاصرة. وعلاوة على ذلك فإن ما قدمه عمارة عن الحروب الصليبية كمؤرخ للفاطميين فيه طرح مختلف حينما اضطر إلى الإشارة للصليبيين بصفتهم أعداء للدولة وتارة أخرى كحليفها الإستراتيجي ضد طموح نورالدين محمود في مصر، وفي هذا إثراء للمادة بما قدمه من طرح لأحداث كان الوحيد تقريبًا الذي عاصرها بجملتها وتفصيلها من داخل أروقة القصر الفاطمي وبهاليزه، وفي هذا خطورة على ما أباح به ونقله وما لم ينطق به أو يُشير إليه.

كما تُعد كتابة عمارة مختلفة عن سياق عصرها موضوعًا ومنهجًا وبخاصة في كتابه "النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية"[٢] ناهيك عن ديوان شعره[٣]، فلم تكن مادة منقولة أو مقتبسة عن غيره وإنما مادة بكرًا متلما لم يكن منهج عرضها حوليًا كعادة عموم مؤرخي ذلك العصر وإنما أرّخ للدولة الفاطمية بأسلوب متفرد قائم على الدراسة الموضوعية للحدث أو للمترجم راعى في معالجته التسلسل الزمني ضمن المعالجة الموضوعية. ولعل مما يجعل من دراسة مؤلفات عمارة مهمة ولها جدوى تلك الآراء التي صرح بها وتناقلها بعض مؤرخي الحقب التالية عن أسباب ضياع الدولة الفاطمية وعن الصراع الصليبي النوري على مصر.

وبرغم أن الدراسة تُعالج ملحوظات على تناول عمارة اليمني للحروب الصليبية فإنه كان بخيلاً في عرضه لأحداثها هذا مع كونه من أكثر المؤرخين الذين عاصروا هذه الفترة الحرجة من ترنح مصر الفاطمية بين المعسكرين الصليبي والإسلامي السني، ولكن ذلك لا يعني تجاهل المادة التي قدمها عمارة على ضحالتها لأن أغلب مشكلاتنا في الدراسات التاريخية نابع من معالجة المطروح لا الممنوع، ولعل في حث المصدر على قول غير المسموح أو غير المنطوق لجدير بالباحث في التاريخ.

ومن الإشكالات التي تواجه الباحث في دراسته لموضوع بهذه الصبغة ما وُجه لعمارة من تهم التشيع[٤]، وارتباط ذلك بتآمر عمارة ضد صلاح الدين[٥]، هذا بالرغم من أن مادة عمارة التاريخية والأدبية أصيلة وليست منقولة أو منتقاة وإنما جاءت نتيجة المشاهدة والاحتكاك وبصفتها خبرة مُباشرة لعمارة اليمني مع الأحداث التي أرّخ لها، ومن ثم تكمن الإشكالية في خشية الوقوع في أسر الأفكار المسبقة عن عمارة وظروف عصره فلا تُقدر مادته وتأخذ حقها الطبيعي من الدراسة والنقد والاقتباس وما إلى ذلك في ظل عدم حصول عمارة ذاته على حقه كأديب ومؤرخ بين معاصريه نتيجة لموقفه من صلاح الدين الأيوبي ومن ثم موقف مؤرخي عصره من تبعات ذلك في تأريخهم له.

أما الإشكالية التالية فممثلة في التحفظات الكثيرة من الاعتماد على المؤلفات الأدبية – النثرية والشعرية – في التأريخ لعصر من العصور، وسوف يعتمد الباحث على كتاب النكت العصرية وديوان عمارة في معالجة هذه الدراسة، ولا ريب في أن معالجة عمارة للجانب الفاطمي ودور الفاطميين في أحداث الحركة الصليبية لا يقلل من قيمة ما سطره عنها – برغم قلته وإيجازه – لأن الحروب الصليبية مثلها مثل أي حدث تاريخي لا يقف الباحث في التأريخ لها عند مصادر صليبية أو غير صليبية وإنما يعتمد على المتاح من

المصادر وبخاصة أن أي حدث إسلامي داخلي له تأثير على المسلمين سيكون له تأثير متناسب في مقداره ومضاد في اتجاهه لدى الصليبيين والعكس. وقد تعرض عمارة في تشريحه النقدي لمترجميه للجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والخُلقية[٦].

ولم يقف الباحث على دراسات سابقة مُرتبطة بهذا الموضوع سواء باللغة العربية أم بغيرها، وثمة دراسات عن عمارة وشعره ومذهبه وميوله، ناهيك عن معالجة عدة دراسات تاريخية لمؤامرة عمارة اليمني ضد صلاح الدين في معترك دراستها لأحداث العصر بعامة، ولكن لم يُفرد للعنوان الحالي دراسة قائمة بذاتها.

الملحوظة الأولى: مصادر عمارة ومراجعه

- **مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء:** كانت قصور الخلفاء ومجالس الوزراء من أهم المجالس التي حضرها عمارة وفيها نُوقشت أحوال الدولة وسياساتها والأحداث المحيطة بها. وكان لعمارة كان له وجهة نظر خاصة بحاشية الحكام صرح بها مباشرة وتحدث عنها مستترًا في ثنايا قصصه القصيرة، وهي ضرورة تحلي أفراد الحاشية برقي الفكر والثقافة والمعارف ومنها قوله عن أبي الغارات طلائع بن رزيك: "...**ولم تكن مجالس أنسه تنقطع إلا بالمذاكرة في أنواع العلوم الشرعية والأدبية وفي مذاكرة وقائع الحروب مع أمراء دولته...**"[٧]، وكرر رأيه في حديثه عن شاور بقوله: "... **كان مُرتاضًا قد شم أطراف المعارف وتميز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم إلا خشونة مُجردة، وكان شاعرًا، مُحبًا للأدب وأهله ويُكرم جليسه...**"[٨]، ثم أشار عمارة تاليًا إلى إدراك ضرغام[٩] ما للحاشية المثقفة من إضافة لبطانة الوزير بقوله: "...**أنتم عنوان الجمال، من جالستموه يا أصحاب الصالح فقد تجمل...**" في

معرض حديثه عن حاشية الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رُزيك[١٠]، وهكذا أكد عمارة أن الوزير الناجح يلزمه حاشية مثقفة ومدركة للفنون والآداب.

أما عن المكانة التي شغلها عمارة مُقربًا من بلاط الخلفاء والوزراء فله إشارات متفرقة عبر كتابه النكت – وبشكل غير مباشر يُلمس في تراجمه لأرباب العلم والأدب في كتابه المفيد وكذا ديوان شعره – توضح قربه من أمراء الدولة الفاطمية كبيرهم وصغيرهم[١١]، وقد قال عمارة عن مكانته من الأمراء وأثرها في وقوفه على أحوال الدولة وسياساتها: "...**ومن مجلسه** (يقصد مجلس طلائع بن رزيك) **عرفت أعيان الأمراء**"[١٢]، وقوله: "...**ونظمني الصالح للمجالسة في سلك أهل المؤانسة، ووجدت بحضرته أعيان أهل الأدب...**"، ويُفهم من دعم شاور لعمارة في موقف ما شعر فيه بالمُضايقة من أحد أقرباء الوزير أنه قد حصل على مكانة مُميزة لدى شاور"...**إلى أن قلت لشاور: أما صُنتني من فلان وإلا أستُعفيتُ!!! فقال: يا هذا!! استحي على نفسك من مُناكدة رجل يأكل معي في إناء واحد كل يوم مرتين...**"[١٣]، وكان شاور "...**يقول إذا غبت عن مجلس أنسه: لعن الله مجلسًا لا يحضره فلان** (يقصد بذلك عمارة)"[١٤]. ولا شك في أن اقتراب عمارة من تلك البطانة كان له أثر كبير في الوقوف على أخبار الدولة وأسرارها على ما جاء في قوله: "... **وأنا ذاكر في هذا المختصر نتفًا جرت لي مع أقارب الوزرا، وأكابر الأمرا، فما منهم إلا من كاثرتُه، وعاشرته، وبلوت سمينهم وغثهم، وقويهم ورثهم...**"[١٥]، وكانت هذه المجالس من أهم مصادر عمارة للحصول على المادة التاريخية.

– **مصادر شفهية**: أشار عمارة إلى أخذه بعض رواياته مشافهة عن بعض رجال الدولة على نحو ما أخذه عن القاضي الفاضل في قوله: "**حدثني القاضي الأجل الفاضل عبد الرحيم ابن علي البيساني قال: أنا أذكر وقد خلونا في خيمة وليس معنا أحد إنما هو شاور وابنه الكامل وأخوه نجم، فعزم الكامل على**

النهوض مع الفرنج وعزم نجم على التغريب إلى سليم ومـا وراءهـا..."[١٦]، وأخذ عمارة مشافهة أيضًا عن المهذب بن الزبير بعـض الأحـداث الداخليـة المتعلقة بمقتل الصالح طلائع بن رزيك[١٧] مثلما أخذ عن أبيه وأخيه يحي بن أبي الحسن وخاله محمد بن المثيب والفقيه محمد بن جسين الأوقص فيما ترجم بـه لنفسه وأسرته في اليمن قبيل قدومه إلى مصر[١٨]، ولا ريب أنه قد أخـذ عـن هؤلاء وغيرهم من رجال هذه الفترة من المؤثرين بفعلهم وقولهم في أحـداثها، بيد أنه لم يُشر إلى مصادره الشفهية كثيرًا في تراجمه وأحداثه خصوصًا أنـه أخذ عن تلك المصادر الشفهية ما لم يعاصره لصغر سنه وبخاصة فترة وجوده في اليمن، بينما يمكن عدّ الأحداث التالية بمثابة تجربة مر بها عمارة أو كـان شاهدًا على بعضها.

مهمات سياسية: بات عمارة محسوبًا على وزراء الدولة الفاطمية وكُلف هـو وبعض أولاده بمهمات خاصة بالفاطميين وسياستهم في اليمن[١٩] مثلمـا كُلـف بمهمات سياسية ودبلوماسية من قبل أمير الحرمين الشريفين في مصر وبمهمات أخرى خاصة بالفاطميين في الحجاز واليمن[٢٠] وبخاصة عدن[٢١] وأخرى لـدى نورالدين محمود في دمشق، حقًا اعتذر عمارة عن بعضها لظروف من شـأنها تعريض المهمة للفشل[٢٢] ولكن لم ينجم اختياره في المجمل لجهل أو مـصادفة وإنما لاعتباره واحدًا من رجالهم[٢٣]، كما قُبلت شفاعته في مبعـوثين سياسـيين ودبلوماسيين[٢٤]. وفي ذلك ما فيه من الدلالات على المكانة التي تبوأها عمـارة مما مكنه من قراءة المشهد بشكل جيد.

المشاهدة والتجول في أنحاء مصر: تجول عمارة بين مدن مصر وقُراها فـي الوجهين القبلي والبحري في استضافة الأمراء، أو لقـضاء بعـض المهمـات لحساب بعض الأمراء في الإسكندرية والجيزة وقـوص وعيـذاب والبحيـرة ودمنهور[٢٥] ورشيد ودمياط وكوم شريك[٢٦] وغيرها[٢٧]، وقد تعرف على كثير من

الأحداث السياسية التي شارك هؤلاء الأمراء في طرفًا فيها، ووقف على كثير من أخبار الدولة وأسرارها من مجالسته لهم على نحو قوله في علاقته ببدر بن رزيك شقيق طلائع بن رزيك "...**وساهمني في جميع أسراره، وغوامض أخباره، وكانت حاشيته تلوذ بي فيما يرجونه ويخشونه منه**"[٢٨]، والواقع أن بعض الأمراء كانوا يراعون رأي عمارة ويعملون به[٢٩].

ولا ريب في أنه كان لوجود عمارة في هذه البيئة من العلاقات المتشعبة والمُطلعة على أسرار الدولة مردود ليس بالهين وبخاصة في فهمه لكثير من مكامن الأمور والسياسات المتعلقة بالفترة التي عاصرها في مصر وفي معالجته للأحداث الخارجية وبخاصة تجاه الصليبيين، وبالرغم من عدم إفاضة عمارة في تفاصيل ذلك لتقيده بمنهجه فإن أحكامه العامة التي تعكس فهمه الجيد للتجارب التي خاضها وأرخ لها تؤكد إفادته من تلك الشبكة من العلاقات الراقية، ولكنه آثر في بعض فصول كتابه الابتعاد عن بعض التفاصيل المهمة مضمنًا نتيجتها كخلاصة عامة دون الخوض في تفاصيلها لدواعي كثيرة يمكن فهم بعضها بينما يصعب فهم بعضها الآخر على ما سيرد تاليًا وبخاصة في ظل تأكيد عمارة بأنه لم يرصد سوى ما جادت به قريحته أو خاطره أو ما سمعه من بعض من تيقن من صدقهم[٣٠].

الملحوظة الثانية: أسلوب عمارة ومنهجه

اتسم أسلوب عمارة بالاقتضاب الشديد مع حرصه على التنبيه على ذلك بصفته منهجًا أعلن عن سلوك دربه في مستهل كتابه بقوله: "...**وتجنبت سجع المتكلفين، وفارقت ذلة المتخلفين، وأطلقت أعنة الكلام، وسامحت أسنة الأقلام، فلا سهل الهزالة أنا حاطب، ولا في حزن الجزالة أنا خاطب، وأشرت فيه إلى ما شاهدته من العجائب المصرية في أخبار الوزراء المصرية من غير إفراط في أوصافهم، ولا تفريط في إنصافهم، وإن تخلل ذلك شيء ليس منه**

فبالعرض لا بالغرض..."[٣١]. ثم أكد عمارة هذا المعني في أكثر من موضع وحرص علي الالتزام به في أغلب مراحل كتابه "النكت العصرية" سواء أشار مُصرحًا أم أقر قاعدة سبق له النص عليها "...**ولو أخذت أشرح يسيرًا من هذه الجملة خرجت عن قصد الكتاب...**".

وقد أعلن في مستهل النكت أنه لم يقم بجمع تلك المادة للتأريخ لتلك الفترة لأنه أعلم أهل زمانه وإنما لرصد تجربته وتسجيلها كي لا تُنسى في طي الزمان، وأوضح بأنه لم يقصد من كتابه فنًا معينًا وإنما ذكر نبذًا من الأخبار المختلفة في مقاصدها[٣٢]. وحرص عمارة على الإلتزام بمنهجه، بحيث أخرج كتاب "النكت العصرية" في نُتف صغيرة من الأخبار المتتابعة لا يتجاوز بعضها عدة أسطر، وقد حملت تلك النتف أخبارًا في غاية الأهمية اعتمد عليها ابن الأثير[٣٣] وابن خلكان[٣٤] وأبو شامة[٣٥] والمقريزي[٣٦] وغيرهم في التأريخ لبعض الأحداث في فترة الصراع النوري الصليبي على مصر وبخاصة وزارتي شاور وضرغام على الجانب الفاطمي ونورالدين محمود على الجبهة الشامية السنية والملك عموري الأول على الجانب الصليبي.

وبرغم ما قد تبدو عليه نُتف عمارة من تهلهل وتفكك مقارنة بالبنية الزمنية أو الحولية الشائعة في الكتابات التاريخية المُعاصرة فإن عمارة كان دقيقًا في معالجته ولكن يصعب على غير المدقق لمعالجته الشمولية لحظ ذلك، لأنه وفي ثنايا طرحه لعصور الوزراء التزم بمنهجه في الكتابة بالإشارة الموجزة إلى الوزراء وإلى أهم أحداث عصرهم في ترتيب دقيق وموجز كخط عام يُفهم المغزى من خلاله فيما بعد حينما عالج عمارة بعض تلك الأحداث في أشعاره ومواقفه منها ومن تراجمه لأمراء الدولة ودورهم في أحداث عصرهم، وهنا يُمكن الربط بين الخط العام الموجز الذي طرحه عمارة في ترجمته للوزراء وبين تلك التفاصيل التي قد تبدو مُنتزعة من وعاء الزمن انتزاعًا

لغياب بعض ما ينسبها إلى الظاهرة التاريخية بافتقادها لمكان وزمان محددين، ولكن بوضعها في الإطار العام الذي وضعه عمارة من قبل ومن ثم ربطها بالنسق الموجز والدقيق في معالجته لعصور الوزراء فإنه ينتفي عنها خروجها عن البنية التاريخية.

أما عن النسق العام الموجز الذي وضع فيه عمارة مادته المتناثرة فيمكن الوقوف عليه من مطالعة روايته عن حملة عموري الأول على مصر عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م ضمن روايته عن مقتل ضرغام؛ حيث قدم عمارة وصفًا مُوجزًا ودقيقًا لكافة الأحداث الداخلية والخارجية المعروفة وغير المعروفة في إيجاز شديد، وجاء في هذا الوصف على العلاقات بين المسلمين والصليبيين في مصر وبلاد الشام بحيث لخص في ما يقرب من ورقتين ما تُعالجه المؤلفات الضخمة[٣٧].

الملحوظة الثالثة: أوجه القصور

يلمس الباحث بعض أوجه القصور أو عدم الاهتمام لدى عمارة لا تتناسب مع المكانة التي شغلها في البلاط الفاطمي وقربه من الخلفاء والوزراء والأمراء؛ فقد كان بمقدور عمارة مُعالجة تاريخ فترته الزمنية ومُحيطه بصورة أكثر دقة وبخاصة أنه قرر الإقدام على التأريخ لهذه الفترة دون أن يُوجهه أحدهم بخلاف وضع كتابه "المفيد في أخبار صنغاء وزبيد" الذي كلفه القاضي الفاضل بتأليفه، وهذا مما يستدعي الاستفسار عن أوجه تجاهله لبعض الأحداث التي اهتم بها بعض المؤرخين الآخرين الذين كانوا أقل حظًا منه نظرًا لمكانته ومصادره وقدرته الأدبية وما تحلى به من ذكاء.

ويتصدر أوجه تقصيره وعدم اهتمامه خلطه بين الروم وبين الصليبيين في حديثه عن حصار شاور وعموري للإسكندرية عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م في قوله: "...**فضرب البواب وطرده عن بابه ولم يكن له ذنب وصُرف من**

الغربية... وشاوَر والروم على الإسكندرية"، وهذا مما يصعب قبوله من رجل له شأنه وعلاقاته المتشعبة، لأنه يختلف عن الرجل العادي في التمييز بين الصليبيين والروم كتسمية عامة أُطلقت على المجهولين القادمين من أوربا في تلك الفترة.

وفي السياق ذاته اقتصر عمارة على تقديم الأحداث التي يعرفها وتجاهل ما سوى ذلك، مما يتضح من تقديم عمارة لواقعة العريش[٣٨] بين طلائع بن رُزيك وبين الصليبيين؛ فبرغم معاصرة عمارة لكثير من الأحداث الخارجية التي وقعت في وزارة طلائع بن رُزيك فإنه لم يُشر سوى لهذه الواقعة، هذا بالرغم من كثرة ما قام به طلائع بن رُزيك من غارات وحملات ضد الصليبيين عامي ٥٥٢هـ/١١٥٧م و٥٥٣هـ/١١٥٨م[٣٩] وانتصر فيها طلائع بن رُزيك على الصليبيين، وبالرغم من انتظام عمارة في البلاط الفاطمي بحيث بات معروفًا لدى أغلب رجال الحاشية عقب عودته الثانية إلى مصر عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م فإنه على ما يبدو لم يكن قد فهم الوضع المحيط به جيدًا بعد لحداثته بالقصر الفاطمي وأنه لم يكن قد وطد علاقاته بمن يثق ويُملي عليه تلك الأحداث.

وقد أشار هو عمارة ذاته إلى تعرضه لعدة مُضايقات نتيجة لاتهامه بالطعن على الشيعة الإمامية ناهيك عن رفضه المطلق للتشيع والأمر كذلك فلا شك أن ما قد يحدث من سوء ظن به في هذه الفترة كان له ما يبرره وهو ظن ربما أبعده عن بعض أخبار مصر على المستوى الخارجي. وإذا كانت واقعة العريش تتفق مع سياق ذلك الحدث مع منهجه في وضع الكتاب عمومًا فإنها لا تتسق مع بعض الأحداث التي أفرد لها مساحة أكثر في عصر وزراء آخرين وبخاصة أن وزارة طلائع استمرت حتى مقتله عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م أي عقب استقرار عمارة في مصر بخمس سنوات.

وفعل عمارة الأمر ذاته حينما عالج أحداث حصار الملك عموري وشاور لأسد الدين شيركوه في بلبيس عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م دون توضيح تداعيات الحدث ومقدماته أو بعض تفاصيل أحداثه واقتصر بقول: "...**مجيء الفرنج وعمل البرج وحصار بلبيس...**"، ولم يُشر عمارة في هذه المناسبة – أيضًا – إلى كيفية فض الحصار أو ملابسات الصلح ورحيل الطرفين عن بلبيس واكتفى بمدح شاور حينما عاد من حصار بلبيس وهو وصف لا يُسمن ولا يُغني من جوع برغم حاجة الباحث في تاريخ تلك الحقبة إلى الاستنارة برؤية مؤرخ على شاكلة عمارة ممن عاصروا هذه الفترة بتفاصيلها ومعطياتها لتفسير كثير من الغموض المُحيط بعمليات حصار بلبيس وملابسات الصلح والهدنة بين الطرفين وخروج عموري وشيركوه من مصر.

ومما يُلحظ ويندرج ضمن أوجه عدم الاهتمام إعراض عمارة عن أوضاع العامة وعن نتائج السياسات المعاصرة على أحوالهم، حقًا التزم عمارة بعنوان كتابه وبمنهجه فيه على نحو ما ورد في قوله: "...**وكانت لشاور واحدة مما هو عليه لا له وهي طاعته لولده الكامل وانقياده له ...فإنها هي السبب من كل دخيلة على الناس من آل شاور، وسبب كل دخيلة عليهم من الناس، ولو أخذت أشرح يسيرًا من هذه الجملة خرجت عن قصد الكتاب**" ولكن لم يلج عمارة إلى هذه الناحية بشكل كاف على ما فعل في عصر رُزيك بن طلائع بن رزيك حينما أشار إلى مسامحة رُزيك "...**الناس بالبواقي والحسبانات القديمة، وأسقط من رسوم الظلم مبالغ عظيمة، وقام عن الحاج بما يستأديه منهم أمير الحرمين، وسير على يد الأمير شمس الخلافة إما خمسة عشر ألفًا أو دونها إلى أمير الحرمين عيسى بن أبي هاشم برسم إطلاق الحاج...**"[٤٠]، وبذا أعرض عمارة عن تقديم ما يخدم عمارة شعور الاستياء لدى العامة كأحد نتائج استقدام شاور وضرغام وأولادهما في للصليبيين إلى مصر وإهدار أموال الدولة

عليهم، علاوة على ما تعرض له العوام في بلبيس ثم في القاهرة وغيرها من تهجير وقتل وسلب ونهب من قبل الصليبيين.

ويُلحظ أيضًا عدم إشارة عمارة إلى تفاصيل حريق القاهرة حينما احتدم الصراع بين الملك عموري وأسدالدين شيركوه عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م واكتفى بسطرين فقط عن الحدث وذلك برغم وجود عمارة آنذاك في منزله بصف الخليج وقت مقتل ضرغام: "...**ولما جاء شاور من دمشق بالغز شُغل** (أي ضرغام) **عني وعن نفسه، ولما جازوا برأسه[٤١] على الخليج وكنت أسكن صف الخليج بالقاهرة قلت ارتجالًا:**

أرى حنك الوزارة صار سيفًا يجد بحده صيد الرقاب

كأنك رائد البلوى وإلا بشير بالمنية والمصاب"[٤٢]

وبرغم وجود عمارة آنذاك في بيته بصف الخليج حيث رأى الجنود وهم يطوفون برأس ضرغام في الشوارع وقال وقتها قصيدته المشهورة "**أرى حنك الوزارة ...**" مثلما شهد إحراق شيركوه لصف الخليج في محاولته الجريئة لدخول القاهرة، ثم معاصرته لحرق شاور المتعمد لمدينة مصر لمنع عموري من التقدم نحو القاهرة عام ٥٦٢هـ/١١٦٨م[٤٣] فإننا لم نتلق من عمارة الكثير في هذا الشأن واكتفى في المرة الأولى بالإشارة إلى حرق بيته وإلى تعويض شاور له عنه على ما جاء عرضًا في أحداث كتابه[٤٤].

وأعرض عمارة عن التأريخ لكل من شيركوه وصلاح الدين حينما توقف عن معالجة أحداث الوزراء بمقتل شاور وبشكل غامض أيضًا. والواقع أن عمارة لم يعرض سوى لمن عرفهم واختلط بهم اختلاط اللحم بالعظم، وهم أربعة وزراء على التوالي: أبو الغارات طلائع بن رُزيك، وابنه الناصر رزيك وشاور في وزارته الأولى ثم ضرغام ثم شاور في وزارته الثانية، إضافة إلى

عدد من الأمراء البارزين[٤٥]. وبالرغم من كون كل من شيركوه وصلاح الدين وزيرين للعاضد الفاطمي ومُعاصرة عمارة لهما واتصاله بهما وخروج سجلي ولايتيهما للوزارة من الديوان الفاطمي وتوقيع الخليفة العاضد عليهما كل في وقته[٤٦] فلم يُشر عمارة إليهما سواء كآخر وزيرين فاطميين أم بصفة صلاح الدين حاكمًا لمصر ونائبًا عن نورالدين في حكمها عقب إسقاطه للخلافة الفاطمية عام ٥٦٧هـ/١١٧١م.

ولا يدري الباحث إن كان قد فعل عمارة ذلك متعمدًا أم سقط منه سهوًا، لأن الدولة الفاطمية إن كانت قد توقفت لديه لدى آل رُزيك على ما حاول الإشارة إلى ذلك والتدليل عليه في أكثر مراحل الكتاب فلا شك أن عدم حديثه عن صلاح الدين له ما يبرره، ولكن يسقط التبرير بمعالجة عمارة لوزارتي شاور وضرغام وهما من أتيا على الرمق الأخير في الدولة على حد وصف عمارة ذاته بإتيانهم بنورالدين وعموري وإطماعهما في مصر، وبتخلصهم من أمراء البرقية الذين رباهم طلائع بن رُزيك وكانوا سند الدولة وعصبها[٤٧]، إضافة إلى إجهاز شاور وضرغام على أموال الدولة ومواردها بالسرقة والنهب وبمنحها للصليبيين لقاء مساعدتهم ضد الغز، ومن ثم فإن تجاهل وزارة صلاح الدين – ومن قبله وزارة شيركوه – ينم عن فهم عمارة أن هؤلاء قد أسسوا مُلكًا جديدًا وإن حكما باسم الخلافة الفاطمية لمدة يسيرة، وأنه كان يكفي عمارة أنهما يقودان جيش دولة أخرى – أي الدولة النورية – كي يُسقطهما من تراجمه. وعلى أية حال فالواضح أن عمارة لم يكن معنيًا بالتأريخ لعصر صلاح الدين على وجه خاص نتيجة لعزل عمارة وغيره من وجوه المتعيشين على الدولة الفاطمية سياسيًا على ما أوضح عمارة في قصيدة شكاية المتظلم وتكاية المتألم التي جاء فيها مخاطبًا صلاح الدين:

فيا واصل الأرزاق كيف تركتني أمد إلى نيل المنى كف أقطع[٤٨]

وتُعد إشارة عمارة إلى أحداث حصار الحلف الصليبي البيزنطي لمدينة دمياط عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م الحدث الوحيد تقريبًا الذي تجاوز حديث عمارة لعصر الوزراء الفاطميين، وتقريبًا الحدث شبه الوحيد الذي عالجه في وزارة صلاح الدين لأن عمارة توقف مع مقتل شاور ووقع حادث مهاجمة دمياط من قبل الصليبيين والبيزنطيين في وزارة صلاح الدين وكان شاور مقتولًا وقتها منذ عام تقريبًا (٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٤٩]، ولم يُشر عمارة إلى أي حدث آخر له علاقة بالصليبيين عقب مقتل شاور سواء محاولة مؤتمن الخلافة الاتصال بالملك عموري أم أحداث دمياط هذه أم محاولة عمارة نفسه التمرد ضد صلاح الدين مستعينًا بالملك عموري ووليم الثاني ملك صقلية وغيرهما للتخلص من صلاح الدين وإحياء الدولة الفاطمية[٥٠].

الملحوظة الرابعة: ربط عمارة بين أغلب الأحداث التي أرخ لها عن هذه الفترة عمومًا والصليبيين خصوصًا بأبيات شعر سواء له أو لغيره

أشار عمارة إلى حرصه على الربط بين الأحداث التي يقدمها وبين تقديم أشعار له ولغيره تُضفي دعما لتلك الأحداث على نحو قوله: "...**وما من هذه القضايا قضية إلا وهي مُقيدة بأشعار لي ولغيري...**" وكذلك قوله: "...**وما من هذه الأحوال وغيرها إلا ما وسمته بشيء من النظم وأنا مورد منه ما يكون شاهدًا لما ذكرته...**"[٥١]، فالشعر لديه مُتمم دومًا لقصته، ثم منحنا مثالًا مُباشرًا يوضح قصده بقوله: "...**فمما قُلت في غارته إلى "أبي عروق" في التماس الإفرنج حين أغاروا على الحوف من قصيدة**[٥٢]:

أغرت قبل أبي الغارات مقتحمًا ... للهول تستصغر الجلي وتحتقر

فكان شمسًا وكنت الفجر يقدمها ... والفجر في الجو قبل الشمس ينتشر

وكانت الغارة لطلائع بن رُزيك، ثم قال عمارة في عودة شاور للوزارة وقتل ضرغام عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م:

أدركتَ ثأرا وارتجعت وزارة نزعًا بسيفك من يدي ضِرغامِ[٥٣].

كما مدح عمارة شاور بقصيدة عقب نجاحه في التخلص من عموري وشيركوه بمقتضى الصلح الذي وُقّع في بلبيس عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م بقوله:

اسمع بذا الفتح المبين وأبصر وأقصُر عليه خطا الهناء وأقصر

ومنها

حمـلت به الأيام إلا أنـها وضعته تمّا عـن ثلاثة أشهر[٥٤]

وحينما غلبت كفة شيركوه في صراعه مع عموري وشاور على مُلكِ مصر فإنه غازل شيركوه وجيشه مُغازلة صريحة نثرًا وشعرًا جاء فيها: "...**مكاتبة نورالدين وإنجاده كلمة الإسلام بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قُلت فيهم وقد ربط الإفرنج الطريق عليهم...**":[٥٥]

أخذتم على الإفرنج كـل ثنية وقلتم لأيدي الخيل مُري على مِريّ

لئن نصبوا في البر جسرًا فإنكم عبرتم ببحر مـن حديد على الجسر

وقد أشار عمارة إلى عموري بلفظة "مِريّ" مثلما أشار إلى محاولات الصليبيين في بلاد الشام لمساعدة عموري المُحاصِر للقاهرة من خلال عرقلة خُطى أسد الدين في طريقه لمساعدة شاور والعاضد ضد عموري وكان من نتيجة قدومه: "...**فقضى قدوم الغز برحيل الإفرنج عن البلاد المصرية...**"[٥٦].

ويُلحظ في الأبيات مُغازلة عمارة للغُز وعلى رأسهم شـيركوه بـرغم استمرار شاور في الوزارة حتى اللحظة التي كُتبت فيها الأبيات، لأن عمـارة ذاته قال بعدها مباشرة "...**ولم يلبث شاور أن مات قتيلًا بعد قدوم الغز بثمانية**

عشر يومًا..."[٥٧]، وبالرغم من هذه الإشارة المقتضبة التي يؤرخ بها عمارة لبداية وزارة شيركوه. وقد نظم عمارة عدة أبيات – ربما عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م – يصف فيها حصار عموري للقاهرة وما ترتب عليه من ضنك معيشة الناس بسبب إحراق شاور لمصر وضياع أموال ساكنيها وتشتيتهم، ولأن أهل القاهرة أكثرهم الجند وأهل الدولة وأتباعهم فقد قال عمارة:

يا رب إني أرى مصر قد انتبهت ... لها عيون الليالي بعد رقدتها

فاجعل بها ملة الإسلام باقية ... واحرس عُقود الهُدَى من حل عُقْدَتها

وهَبْ لنا منك عونًا نستجِيرُ به ... من فتنة يَتلظى جَمْرُ وَقْدَتها[٥٨]

وفي الأبيات بُعد نظر وسعة أفق من عمارة ربط به وضع مصر في محيط الأحداث الإقليمية المرتبطة بالمنطقة، وأدرك مدى ضعف الدولة الفاطمية مع ازدياد طمع الآخرين فيها.

الملحوظة الخامسة: أحكام عامة وأقوال مشهورة واضافات انفرد بها عمارة:

ولعمارة أحكام عامة أصدرها في عدة مناسبات ربما من أبرزها إشارته إلى أن الدولة الفاطمية قد زالت بزوال حكم آل رزيك "...**وإنما زالت دولة مصر بزوالهم**[٥٩]**...وافترقت أمراء البرقية...**"[٦٠]، وقد أوضح أن تلك الأحداث الداخلية الصغيرة كان لها أكبر الأثر في التحول الحادث في سياسة الدولة الخارجية وهذا يعني أن عمارة خرج من قصصه الصغيرة بأحكام عامة شخصت مرض الدولة الفاطمية مما الصليبيين والنوريين فيها.

وناهيك عن ذلك فبرغم حب عمارة لشاور فقد أقر عمارة بأنه "...**لم يرب أحد رجال الدولة مثل ما رباهم الصالح ولا أفنى أعيانهم مثل ضرغام، ولا أتلف أموالهم مثل آل شاور وشاور، وهو الذي أطمع الإفرنج والغز في**

الدولة حتى انتقلت عن أهلها"، وقد قرر عمارة اليمني حكمه العام ذاك بناء على الواقع الذي سيعاصره في الفترة المقبلة[٦١].

ولعمارة حكم دقيق وفيه بعد نظر في حديثه عن استخدام القاضي الفاضل في الديوان الفاطمي وقد جاء في حكمه "...**ومن محاسن أيامه وما يُؤرخ عنها بل هي الحسنة التي لا توازى، واليد البيضاء التي لا تجازى، خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتيسير القاضي الأجل الفاضل أبي علي عبد الرحيم بن علي البيساني إلى الباب واستخدامه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش فإنه غرس منه للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**"[٦٢]، وقد وُفق عمارة في حكمه إلى حد كبير بحيث كان الفاضل أحد أبرز رجال الدولة الأيوبية وأهم مستشاري صلاح الدين وأكثرهم فهمًا للصليبيين وكيفية محاربتهم حتى قال فيه صلاح الدين قولته المشهورة "**لا تظنوا أني فتحت البلاد بالسيوف وإنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل**"[٦٣].

ووُفق عمارة في حكم عام يعكس ثقافة واسعة واطلاعًا بتاريخ وزراء مصر بدا ذلك في قصيدة مدح بها عودة شاور للوزارة جاء فيها:

ومنهن أنا ما رأينا وزارة لغيرك عادت بعد ما صد جيدها[٦٤]

وقد أصاب عمارة في حكمه بحيث يُعد شاور الوزير الفاطمي الوحيد الذي خُلع من الوزارة وعاد إليها، وقد حاول قبله رضوان بن ولخشي (٥٣١-٥٣٣هـ/١١٣٧-١١٣٩م) وزير الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي العودة للوزارة عقب طرده منها بيد أنه فشل في مسعاه[٦٥].

ولعمارة تشبيهات ومصطلحات وتعبيرات ارتبطت به وعنه أخذها بعض المؤرخين اللاحقين مرتبطة بهذه الفترة وبأحداثها، فوصف عمارة وزارة

ضرغام بأنها كانت مثل "**مدة حمل الجنين**" أي تسعة أشهر دلالة على قصرها وعنه أخذ بعض المؤرخين هذا التشبيه ومنهم ابن الأثير وأبو شامة والمقريزي وغيرهم[٦٦].

وأما ما انفرد به عمارة من أحداث تاريخية فيتصدرها إشارته إلى أبرز حدث في وزارة ضرغام مُمثلاً في مهاجمة الملك عموري الأول لمصر عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م، ويُعد عمارة من أوائل المتحدثين عن الحملة الأولى للملك عموري الأول على مصر في وزارة ضرغام وأثرت نتائجها في الأحداث التالية بحيث حولت شاور إلى الاستغاثة بنورالدين الذي ساعده خوفاً من تهديد الصليبي الذي عقده ضرغام مع عموري لطموحاته - أي نورالدين - في مصر[٦٧]. وبرغم أن هذه الحملة بمثابة حدث غير عادي ولم تمر به مصر منذ حملتي بلدوين الأول على الدلتا عامي ٥٠٩هـ/١١١٦ و٥١١هـ/١١١٨م[٦٨] فإن عمارة لم يُعره الكثير من الاهتمام هذا بالرغم من علمه بأن قدوم عموري إلى مصر نتج عن السياسات غير الموفقة للوزراء الفاطميين مما يدخل في منهج كتابه.

ومما يُبرهن على دقة عمارة في توقيت بعض الأحداث وموافقة المصادر له قوله في مدح شاور عقب نجاحه في إخراج عموري وشيركوه من بلبيس - ومن ثم مصر - عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م:

فتح تولد يُسره من عُسرة طالت وأي ولادة لم تعسر

حملت به الأيام إلا أنها وضعته تمّا عن ثلاثة أشهر[٦٩]

ويقصد عمارة بالثلاثة أشهر مدة حصار شيركوه في بلبيس، وقد وافقت المصادر التاريخية تحديده لهذه المدة، وفي الأبيات وصف لما حدث في بلبيس لأن شاور يُعد المُحرك الأول للتحول الحادث في مسار أحداث حصار بلبيس

وخروجه وحده منتصرًا ليحتفظ بوزارة مصر وملكها عقب اضطرار كل من شيركوه وعموري إلى مغادرة مصر دون أن يكون لأحدهما الغلبة على نظيره[٧٠]، وفي البيت تبرير جلي من عمارة للمهمة العسيرة التي قام بها شاور للتصدي لطموح الفريقين.

ثم عاد عمارة مرة أخرى إلى الحدث ذاته في مدحه لشاور عقب انتهاء حصاره لبلبيس في العام ذاته بقوله: "...**قلت من قصيدة اذكر نوبة بلبيس ووزارته الأولى:**

إن بات من عدد الملوك فإنه لا يستوي نار الغضا ودخانها

جُمعت لك الأمم الثلاث فسستها حتى كأن لم تختلف أديانها

ويبدو أنه يقصد بالأمم الثلاث: السنة في دمشق والشيعة في مصر والفرنجة في بيت المقدس، وفي هذا تفسير لما أشار إليه أبو شامة وغيره[٧١] من كون شاور المحرك الأول للوضع العسكري أمام بلبيس عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م، ومنها قوله:

خلصت كل قبيلة من ضدها لما التوت وتعقدت أشطانُها[٧٢].

وفي البيت تلميح بتفاصيل غير كاملة ممثلة في تفريق شاور لخصومه من أتباع شيركوه وعموري بحيث أفاد من تفريقهم فضعفت همتهم على ما ألمح أبو شامة فيما بعد[٧٣].

وانفرد عمارة برواية في غاية الأهمية تُشير إلى عجز موارد مصر عن الوفاء بمتطلبات الملك عموري حينما عرض مساعدته للتصدي لحملة شيركوه على مصر عام ٥٦٢/١١٦٧م جاء فيها: "...**وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للغز. ثم لاحت الفرصة للإفرنج فعادوا إلى مصر وافترحوا من المال ما تنقطع دونه الآمال، وخيموا على ساحل المقسم وأظهروا رجوعهم**

إلى الشأم فتجهز الكامل للمسير صحبة الإفرنج...إنما هو شاور وابنه الكامل وأخوه نجم، فعزم الكامل على النهوض مع الفرنج وعزم نجم على التغريب إلى سليم وما وراءها. قال شاور: لكني لا أبرح أقاتل بمن صفا معي حتى أموت، فنحن في ذلك حتى وصل إلينا الداعي ابن عبد القوي وصنيعة الملك جوهر وعز الأستاذ وقد التزموا المال..."[٧٤].

وفي النص إشارة إلى عجز موارد الدولة الفاطمية عن الوفاء بمتطلبات الصليبيين بحيث كادت حاشية شاور أن تهرب سواء إلى الفرنج أم إلى الصحراء الغربية وغيرها لولا رباطة جأش شاور وإصراره على التصدي لشيركوه سواء ساعده الصليبيون أم امتنعوا، كما يكشف عن الممولين للحملة من العنصر السوداني ودعاة الدولة الذين يُمثلهم صنيعة الملك جوهر وابن عبد القوي الداعي وعز الأستاذ. ويعكس الحدث من جهة أخرى تمسك الصليبيين بضرورة أخذ المال قبيل تقديم المساعدة لشاور على ما ذهبت بعض المصادر الصليبية[٧٥].

إضافة إلى ما أضفاه عمارة من ثراء على نتائج حصار الملك عموري وشاور لصلاح الدين في الإسكندرية عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م قوله: "**...ولما عاد من حصار الإسكندرية أكثر من سفك الدماء بغير حق، وكان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البُستان من دار الوزارة ثم تُسحب القتلة إلى خارج الدار**"[٧٦]، ولكنه لم يُوضح سبب قتلهم أو يعرف بشخوص المقتولين سوى ما يلج إلى الذهن من مُعاقبة شاور للمساندين من السكندريين السنُيين لصلاح الدين وعمه شيركوه في الإسكندرية ضد شاور وعموري[٧٧].

وتعكس أحكام عمارة العامة عدة أمور لعل أهمها ترجيح تسجيل عمارة هذه الأحداث فيما بعد وليس وقت وقوعها على ما يبدو من قوله "**...وما من هؤلاء الجماعة الذين كان الرأس بين أيديهم إلا من مات قتيلًا وقطعت رأسه**

عن جسده..." في حديثه عن مقتل العادل رُزيك[٧٨]، بمعنى أن عمارة لم يُترجم لهؤلاء الأمراء سوى بعد أن علم بوفاتهم جميعًا وكان آخرهم شاور الذي قتل عام ١١٦٩م، فضلًا عن أن حديثه عن بعض الأمراء كان لا يقف عند الترجمة لهم وإنما كان أحيانًا ما يتطرق لسيرتهم ثم لأحواله بعدهم[٧٩].

ويؤكد هذا وغيره أن أحكام عمارة نتجت عن خلاصة خوضه للتجربة وأنه كتب تاريخه "النكت العصرية" في وقت تال لوقوع الأحداث التي عالجها وليس وقت وقوعها، وبما أن شاور حضر حدث مقتل العادل رُزيك فلا ريب أنه كتب تاريخه بعد مقتل شاور مما يقودنا إلى أن عمارة كان قد تحرر كثيرًا وقت صياغته لكتابه من أية ضغوطات لأن أبطاله كانوا قد ماتوا ولكن لم يتجن عليهم[٨٠]، بيد أنه امتنع عن الترجمة لشيركوه وصلاح الدين، وقد بدا في قصيدته الرائقة "شكاية المتظلم ونكاية المتألم" بعض مظاهر التهميش والفاقة والفقر التي عاني منها في ظل وزارة صلاح الدين[٨١].

الملحوظة السادسة: وصف عمارة للصليبيين وموقفهم من الدولة:

اختلف وصف عمارة لموقف الصليبيين من الدولة الفاطمية وذلك بحسب ما ظن أنه في مصلحة الدولة، فوصف الصليبيين تارة بناصري الدولة وتارة بالعدو بحيث كاد أن يُقرن الصراع الإسلامي الصليبي بالصراعات المحلية بين بعض الأمراء المستقلين، وذلك لأنه لم يُجسد في مجمل ما قدمه عن الصليبيين خطورة العدو الصليبي الرابض على حدود الدولة الفاطمية التي أحبها مثلما لم ينكر على شاور أو ضرغام استعانتهما بالصليبيين لمجابهة شيركوه مثلما يُلحظ اختفاء مرادفات مثل "لعنهم الله" و"خذلهم الله" و"قبحهم الله" التي اقترنت بمعالجات المؤرخين المعاصرين لتاريخ الصليبيين وحل محلها نُصرة الدولة الفاطمية على عدوها نورالدين وقائده شيركوه. ولعل مما يدعم

عدم وضوح موقف عمارة إزاء الصليبيين عدة شواهد نعرضها تباعًا يتصدرها مدحه للناصر بن الصالح رُزيك بقوله:

نهدت إلى الإفرنج تزجي كتائبًا تــغل بها أعناقهــم وتُغــالُ

فولوا وقد أبقت عليهم نفوسهم سباسب حالت دونهم ورمال[٨٢]

وفي الأبيات تبدو مهاجمة عمارة للصليبيين ومفاخرته بالانتصار عليهم، ومــن مواقفه المعادية للصليبيين أيضًا نظمه في ضرغام مادحًا:

وأجبت عادية الفرنــج بديهة قبل الرَوِية بارتحال رجــال"[٨٣]

والأبيات تنطق وحدها حينما وصف عمارة الفــرنج بالعــدو ولــيس بناصري الدولة خلال معالجته لحملــة عمــوري الأول علــى مــصر ســنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، ثم أكد ذلك بقوله في الحدث ذاته: "...**قدمت الفرنج الــديار المصرية على زمان وزارته...**":

أطفأت جمرتها بإخوتك الأولى يتسنمون غوارب الأهــوال[٨٤]

وحينما تحولت كفة الأحداث لصالح شاور عقب عودته إلــى الــوزارة بمساعدة شيركوه ثم تنكر شاور لوعوده إلى شــيركوه ونورالــدين واســتعانته بالصليبيين لمُحاصرة شيركوه في بلبيس عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م فقد مدحه عمارة بقوله: "...**وما أصدق ما قلت فيه من قصيدة أهنئه بفتح بلبيس بعد الحصار**":

ضجر الحديد من الحديد وشاور في نصــر آل محمد لم يضجر

حلــف الزمــان ليأتين بمثلــه حنثت يمينك يا زمــان فكفر[٨٥]

والغريب أن عمارة يصف الحدث وكأنه صراع بين حق وباطل، وكيف يكون الحق من وجهة نظره في إنتصار شاور الذي يسانده عموري أكثر ملوك الصليبيين طمعًا في مصر، بل إنه وصف قدوم شيركوه بحملته على مصر عام

٥٦٤هـ/١١٦٧م بأم النوائب الكبرى بينما عدَّ قدوم عموري نُصرة للدولة "...**قدوم أسد الدين إلى إطفيح بأم النوائب الكبر. ووافق مجيء الغز قدوم الإفرنج ناصرين للدولة...**".

وحينما قَدِمَ الفرنجة لمُهاجمة مصر في العام التالي تحت قيادة عموري الأول واستباحوا دماء العامة في بلبيس فضلًا عن إحراق شاور لمدينة مصر – التعبير الشائع آنذاك لامتدادات القاهرة الجنوبية في الفسطاط والقطائع والعسكر[٨٦] – لتُعيق تقدم الصليبيين وما ترتب عليه من مُعاناة سكانها وتشريدهم وإحراق ممتلكاتهم فقد تحول شعور عمارة نتيجة لذلك الموقف عن دعم شاور وأنصاره القدامى من الصليبيين "...**فكان من قدوم الإفرنج إلى بلبيس، وقتل من فيها بأسرهم ما أوجب حريق مصر ومُكاتبة نورالدين ابن القسيم وإنجاده كلمة الإسلام بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قُلت فيهم وقد ربط الإفرنج الطريق عليهم**"[٨٧]، "...**فقضى قدوم الغز برحيل الإفرنج عن البلاد المصرية**"[٨٨].

ولا يتهم الباحث عمارة بُمحاباة الصليبيين على حساب المسلمين السنة في بلاد الشام فضلًا عن أن مواقفه كانت مُساندة لمصر وهي دولة مسلمة هي الأخرى سواء ساندها الصليبيون أم لا، ولم يخرج موقفه عن موقف شاور وكل من سعى للحفاظ على مكاسبه في مصر من المسئولين وغيرهم من المحابين للشيعة.

وعلاوة على ذلك فلم يُبلور عمارة فكرة المنظور العربي الإسلامي العام والخاص إزاء الصليبيين سواء في مصر أم بلاد الشام كمؤرخ له رؤية شمولية تتجسد ملامحها لدى مؤرخين آخرين سابقين عليه أو معاصرين له على شاكلة ابن القلانسي وابن أبي طي الحلبي الشيعي وابن الأثير الجزري

وغيرهم، وبالرغم من اتصال عمارة بالصليبيين بعد ذلك – عقب زوال نفوذ الفاطميين في مصر – للإطاحة بصلاح الدين فإنه كان تحرك العاجز الذي حُرم فجأة من كل المميزات التي تمتع بها في ظل الفاطميين وهُمش وعُزل سياسيًا وليس تحرك المُحب للفرنجة والكاره لمصر على نحو ما عبر به في شكواه في قصيدته "شكاية المتظلم ونكاية المتألم"[٨٩]

وقد حاول عمارة في قصيدته الدفاع عن نفسه وبسط حججه المتتالية في مرافعته أمام صلاح الدين، كي يقنعه بعدالة قضيته، لذا نوّع في أساليب العرض، ونوع في أساليب خطابه؛ فتارة يذكر صلاح الدين باسمه الصريح، وتارة يصفه بـــ"زارع الإحسان" و"راعي الإسلام" و"واصل الأرزاق" وتارة بتوجيه الخطاب إليه بكاف الخطاب مثل: نوابكم، وبابكم، ودعوناك...الخ ولكنه لم يجد صدى[٩٠].

الملحوظة السابعة: تطعيم الأحداث الخارجية بالأحداث الداخلية فـــي تناســق وإيجاز دقيقين

ربط عمارة بين القضايا الداخلية وبين صداها على المستوى الخارجي وبخاصة تجاه الصليبيين وقد رتب النسق البنيوي للرواية الموجزة التي قـــدمها عمارة لدقة الأحداث الخارجية وطعمها بتفاصيل الأحداث الداخلية؛ فقد غـــاص عمارة في تفاصيل داخلية كثيرة – جاءت ضمن تراجمه لأمراء الفـــاطميين – ربما لم يتسن لغيره التعبير عنها بهذه الصورة السهلة والسلسة، وبخاصـــة أن أغلب من تحدث عنهم ومن ثم حاك قصصه ونـــسج رواياتـــه حـــولهم وعـــن الأحداث الداخلية قد ارتبط معهم بعلاقات مباشرة – بغض النظر عن هدفه من تلك العلاقات أو وسائله إليها – ومن ثم كان بمقدوره وهو سياسي مُحنـــك أن

يرصد الكثير من التفاصيل التي جاءت مُتماشية مع منهج كتابه في إيجازها وفي ارتباطها بموضوع الكتاب أي أمراء الدولة الفاطمية؛ فعقب حديثه عن واقعة العريش التي جرت بين طلائع بن رُزيك وبين الصليبيين في عصر الملك بلدوين الثالث فإنه استهل معالجته لبعض أحداث ذلك العصر بأبيات ضمن القصيدة التي مدح بها طلائع بن رُزيك بعد انتصاره على الصليبيين في العريش منها هذه الأبيات[٩١]:

وحين أبليت عذرًا في اللحاق ... بهم والنصر يقسم لا فاتوه والظفر

وقال عزمك لما أن ألح ولم ... يلح له منهم عين ولا أثر

إن ينج منها أبو نصر فعن قدر ... نجا وكم قدرة قد عاقها القدر[٩٢]

وتُشير الأبيات إلى بُعد نظر عمارة بأحداث المنطقة المحيطة به سواء الإقليمية أم المحلية، وذلك بتطعيم إشارته سالفة الذكر بعدة أحداث داخلية تالية لهذا الحدث الخارجي، حينما أشار إلى تسلط عم العادل رُزيك الملقب بفارس المسلمين على أمور الوزارة ومقدرات مصر وإلى تعاظم نفوذ غلمان أبيه[٩٣]، كما أشار إلى تصدي العادل رُزيك لبهرام الغزي الذي خرج عليه بالصعيد حيث أدرك الغز في الصعيد عند الفجر فقتلهم وأسرهم[٩٤]. وأشار عمارة إلى تلك المعركة في قصيدة له في تاريخه ولكن في موضع مختلف فيما بعد أشاد فيها بالعادل وبموقفه من بهرام الغزي[٩٥]، ومدح الخليفة مرة أخرى بمناسبة القضاء على ابن نزار الخارجي عن طريق خدعة قام بها الأمير حسام بن فضة بن رُزيك فقبض عليه وقتله[٩٦]، وبرغم هذه الأحداث الداخلية المقلقة للوضع الآمن فقد نجح طلائع بن رُزيك في التصدي لها ولم تتوقف غاراته ضد الصليبيين وان لم ينوه لها عماره[٩٧].

ثم ربط عمارة بين القضايا الداخلية للدولة الفاطمية وبين صداها على المستوى الخارجي وبخاصة تجاه الصليبيين بإشارته إلى نوبة تروجة وثورة طرخان في الإسكندرية "...وسمعت سيف الدين حسينًا صهر الملك الصالح وقد جاء إلى فارس المسلمين بدر بن رزيك عند خروجه في العسكر إلى تروجة منع شاور عن الوصول من "واحات" إلى البحيرة يقول له: انظر كيف يكون، فإن طرخان لما ثار من إسكندرية يطلب الوزارة وسرت أنا وأنت في العسكر وامتنع الناس عن التعدية كان شاور أول من عدى ثم وثب على فرسه بلا سرج وهو يقول: لا خير في الشيخ إذا لم يجهل"[٩٨]. وقد مهدت هذه الأحداث الداخلية لاعتلاء شاور الوزارة، بيد أن عمارة لم يفصل لها الكثير في هذا المقام.

وعقب وقوف عمارة على حدث خروج عموري وشيركوه من مصر عام ٥٥٩هـ/١١٦٤م فقد اهتم بالتأريخ للأحداث الداخلية الكثيرة التي مثلت خطورة على مركز شاور ومن ثم وضع مصر من الأحداث الإقليمية المحيطة ومنها: "...قيام يحيى ابن الخياط[٩٩] طالبًا للوزارة...نفاق لواتة ومن ضامها من قيس...القبض على الأثير بن جلب راغب وقتله...أسرُ مُعاني بن فُريح ثم قتله..."، ثم عاد عمارة لمعالجة الأحداث الخارجية في تسلسل دقيق على نحو قوله: "...قدوم أسد الدين إلى إطفيح بأم النوائب الكبر. ووافق مجيء الغز قدوم الإفرنج ناصرين للدولة...قدوم الإفرنج ناصرين للدولة وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للغز...مقام الغز بالجيزة[١٠٠]...نوبة البابين[١٠١]...حصار الإسكندرية...انصراف الغُز راجعين والفرنج بعدهم...قدوم الإفرنج إلى بلبيس، وقتل من فيها بأسرهم ما أوجب: حريق مصر...مكاتبة نورالدين وقد ربط الإفرنج الطريق عليهم...مقتل شاور...".

ويُلحظ نجاح عمارة في الدمج بين الحدث الداخلي والخارجي بمهارة فائقة تجعل من أحدهما نتيجة للآخر دون الحاجة لقول ذلك أو شرحه. وأرخ عمارة أيضًا للسياسات الصغيرة التي ترتب عليها تغيرات جوهرية، حينما رصد بداية خروج ضرغام على شاور من واقع انقسام أمراء البرقية، وبخاصة أن الفريق المعادي لفريق ضرغام كان أغلب رجاله يمتون بصلة قرابة أو صداقة إلى شاور، وفي هذا تحليل ألمعي ومُبكر من عمارة لحالة البلبلة التي ستُصيب مصر عما قليل وتمنح الصليبيين الفرصة للتدخل في شئونها.

* *

الهوامش :

١- عمارة اليمني: هو نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي الشاعر اليمني. وُلد عمارة في مدينة مرطان بوادي صاع باليمن، تعلم في زبيد وتفقه على مذهب الشافعي ووضع في مُصنفاً في الفرائض كان يُقرأ في اليمن على عصره، ثم رحل إلى عدن وعمل بالتجارة والتقى الشاعر أبو بكر بن محمد العندي الذي وجهه إلى صناعة الشعر فأقبل عمارة على قرضه وارتفعت مكانته لدى ملوك زريع في عدن وذاع صيته.

وقضى عمارة أفضل سنواته في اليمن فيما بين عامي ٥٣٨-٥٤٨هـ/١١٤٤-١١٥٤م عندما اقترب من القائمين على دولة فاتك صاحب زبيد وصاحبهم وكثرت أمواله وثم اُضطر إلى الرحيل إلى زبيد ثم إلى مكة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م هربًا من بعض فقهاء اليمن وشيوخها الذين اتهموه بالكفر، وهناك وفي الحرم المكي نال عمارة من خلال حلقة وعظه لُقب الواعظ وذاع صيته مرة أخرى. ثم كلفه أمير مكة قاسم بن هاشم فليته بسفارة إلى الخليفة الفائز الفاطمي ووزيره الصالح طلائع بن رزيك لحل خلاف نشأ بين الطرفين فوصل إلى مصر سنة ٥٥٠هـ/١١٥٦م وأنشد الخليفة قصيدته "الحمد للعيس" ونال جوائز الخلافة والوزارة والإمارة وعاد إلى مكة مرة أخرى، ثم كُلف بمهمة ثانية فعاد إلى مصر وظل بها حتى صُلب في الثاني من رمضان سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م.

انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص٥-٥٣؛ عمارة اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع، ط٢، ١٩٧٦م، ص٢٣-٣٨؛ ابن الأثير: (علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، جـ٣، ٤٣١-٤٣٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩١م، جـ٦، ص٣٨٨؛ الأصفهاني (العماد الكاتب): خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء الشام)، تحقيق: شكري فيصل، دمشق، ١٩٦٤م، جـ٣، ص١٠١؛ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ١٢٩٨م/٦٩٧هـ): مفرج الكروب

في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ١، ص٢١٢-٢٣٨؛ العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، ١٣٥٠-١٣٥١هـ، جـ٤، ص٢٤٤؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٤٢، جـ١، ص١-٥٣.

٢- وضع عمارة كتابين في التاريخ أحدهما عن تاريخ اليمن أطلق عليه "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" والثاني كتاب "النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية"، وله أيضًا ديوان شعر لا يقل أهمية عن كتاب النكت، وله مؤلفات أخرى لم يُعثر عليها منها مُصنف في "الفرائض" كان يُقرأ في اليمن. ولم يقف الباحث على غير هذه المؤلفات، ولكن مما يُرجحه الباحث أنه ربما كان لعمارة مؤلفات أخرى ولكن سطا عليها الزمن بعاملي الجهل والعداء فلحقت بروح كاتبها، وبخاصة أن عمارة مات مصلوبًا بسبب تآمره على صلاح الدين واتهمه بعض المؤرخين بالتشيع، والحال هذا فلابد أن مؤلفاته قد نالها ما ناله من الهجر والمقاطعة وربما التخلص منها. انظر: عمارة اليمني: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص١٥٠-١٩٠؛ عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣.

٣- عن عمارة الشاعر انظر: انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ٢٥٩، ٢٦١، ٤٤١-٤٤٢، جـ٢، ص٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، جـ٣، ٤٣١-٤٣٦، جـ٤، ٩، ٢٤٤، جـ٥، ٢٧٣، ٣٩٦؛ الأصفهاني: خريدة القصر، جـ٣، ص١٠١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ١، ص٢١٢-٢٣٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، جـ٣، ص٢٤٩-٢٥٠.

٤- أشار بعض المؤرخين المعاصرين إلى ميل عمارة اليمني للمذهب الشيعي وبخاصة ما لمسه بعضهم في أشعاره من تمجيد ومديح للمذهب الشيعي وللخلفاء الفاطميين، في حين أشار ابن خلكان إلى أن عمارة كان سني المذهب شافعي الاتجاه منذ تعلمه في اليمن. ويرجح الباحث رفض عمارة للتشيع بشكل قاطع على الرغم من التودد الذي أبداه تجاه الفاطميين كقوة سياسية، ومجاراته لهم في القسم بخليفتهم الفائز، واعتقاد العصمة فيه، بخلاف أشعاره فيهم مدحًا وشكرًا. ولكن على أرض الواقع فقد رفض عمارة التشيع وعد التعصب له نقيصة أصابت الوزير طلائع بن رُزيك، بمعنى أن عمارة رفض بألفاظه وصياغته ومواقفه المذهب الشيعي الفاطمي. انظر في ذلك: عمارة اليمني: النكت

العصرية، ص٧، ٤٤-٤٥، ٤٨، ١٢٦-١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ٤٣١-٤٣٦، جـ٤؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٦، ص٣٨٨؛ الأصفهاني: خريدة القصر، جـ٣، ص١٠١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ١، ص٢١٢-٢٣٨؛ الذهبي: العبر، جـ٤، ص٢٠٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٤٩-٢٥٠.

٥- تآمر عمارة اليمنيّ وبعض وجوه الشيعة ضد صلاح الدين الأيوبي بهدف إحياء الخلافة الفاطمية في مصر، ومما دفع عمارة إلى التدبير لهذه المؤامرة حالة التهميش التي تعرض لها عقب إسقاط الخلافة الفاطمية عام ١١٧١/٥٦٧م، فتآمر عمارة مع بعض وجوه الشيعة وراسلوا الملك عموري الأول ووليم الثاني ملك صقلية وغيرهم للتخلص من صلاح الدين الذي علم بالمؤامرة وقبض على عمارة وصلبه في القاهرة عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م. راجع في ذلك: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤؛ أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت١٢٦٨م/٦٦٥هـ): الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي أحمد، مراجعة محمد مصطفي زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، جـ١، ق٢، ص٥٧١-٥٧٤. وأيضًا: حجازي عبد المنعم سليمان: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٣٢٢-٣٣٠.

٦- انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٨، ٧٢، ٨١-٨٢، ١٣٣-١٣٤.

٧- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٧-٤٨.

٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٨.

٩- لم يكن ضرغام في حنكة شاور ولكنه أفاد من الأخطاء التي ارتكبها شاور لتقليب الرعية عليه ثم خلعه من الوزارة فواستوزره الخليفة العاضد. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٧- ٧٤،٩٧،١٠٣-١٠٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٠-٢٧١.

١٠- صنف عمارة جلساء الخلفاء والوزراء في العصر الفاطمي إلى أهل الأقلام والسيوف والأعلام، من الأدباء والقادة من رجال الدولة. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٣٤-٣٥، ٧٣.

١١- عمارة اليمني: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٣٠.

١٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١٢٣.

١٣- يقصد بالشخص المشار له في النص صاحب الديوان خاصةُ الدولة ابن دُخّان الذي كان يُراجع عمارة في الجاري أو الراتب الشهري، فطلب عمارة من طلائع بن رُزيك أن يمنع عنه مضايقة ابن دخان له فأمره طلائع فامتنع. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٠.

١٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٠.

١٥- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣.

١٦- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩-٨٠.

١٧- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٧.

١٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨-١١، ١٨-٢٣.

١٩- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣.

٢٠- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١٢٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٣٣.

٢١- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٣.

٢٢- أشار عمارة إلى تكليفه بمهمة دبلوماسية إلى دمشق وكانت آنذاك تحت حكم نورالدين ولكنه اعتذر عن القيام بها لأنه كان من المحبين لبني رُزيك وأن ذلك الميل قد يعرض المهمة للفشل. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٢.

٢٣- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٢.

٢٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩١.

٢٥- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١١٠-١١٢، ١١٥-١١٦، ١٢٠-١٢١.

٢٦- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١١٠.

٢٧- ترجم عمارة لبعض الأمراء عقب ترجمته للوزراء وهم: مجد الإسلام ابن الصالح طلائع بن رُزيك، وبدر بن رُزيك فارس المسلمين أخي طلائع بن رُزيك، والأمير عز الدين حسام وهو من أخوال الصالح طلائع بن رُزيك ، وحسام الدين محمود بن المأمون أحد أخلص رجال بني رزيك، علاوة على سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء صهر طلائع بن رُزيك وهو من آل رزيك، وطي بن شاور، والكامل بن شاور، والأوحد صبيح أخو شاور، وركن الإسلام نجم أخي شاور، وسليمان بن شاور، والأمير الظهير مُرتفع

الثائر الذي ثار في أيام ضرغام في الإسكندرية طلبًا للوزارة، والمكرم عَلِيّ بن الزَّبَد وهو من أشد المناصرين لبني رزيك، وأسَدُ الغاوي الذي وصفه عمارة بالنفاق في الفعل والقول، وصبح بن شاهنشاه أحد الأمراء المحسوبين على رجال شاور وأخيرًا ورد الصالحي نسبة إلى الصالح طلائع بن رزيك. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٥، ٩٩، ١٠٩-١١٠، ١٢١-١٢٣، ١٢٨-١٣٥، ١٣٩-١٥١.

٢٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٩.

٢٩- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١١٧.

٣٠- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥-٦.

اعتمد عمارة على بعض الممصادر المكتوبة والشفهية التي أشار إليها في "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" على ما جاء في قوله: "حدثني الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك الملكي والفقيه أحمد بن محمد الأشعري وما منهما إلا عارف بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم. وقرأت في كتاب المفيد لأخبار زبيد تأليف الملك المكين أبي الطامي جياش بن نجاح نصير الدين مالك زبيد قالوا...". ويغلب على كتاب المفيد صبغة الانتقاء في تأريخ عمارة لليمن من النواحي الجغرافية والعمرانية والطبوغرافية والأدبية، وفي هذا يختلف عمارة هنا مع منهجه في كتاب النكت. ولم يقف الباحث في "المفيد" على ما يمت بصلة للقضية التي يعالجها البحث. انظر: عمارة اليمني: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٣٨.

٣١- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦-٧.

٣٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥-٦.

٣٣- قارن: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٨١-٩٦.

٣٤- قارن: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ٢٥٩، ٢٦١، ٤٤١-٤٤٢، جـ٢، ص٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، جـ٣، ٤٣١-٤٣٦، جـ٤، ٩، ٢٤٤، جـ٥، ٢٧٣، ٣٩٦.

٣٥- قارن: أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق١، ص ٤١٧، جـ١، ق٢، ص٣٢٩، ٣٣٢-٣٣٣، ٣٦٧، ٤٢٧-٤٣٠.

٣٦- قارن: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤-٢٦٦، ٣٨٥.

٣٧- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩-٨٠.

٣٨- قاد الصالح طلائع بن رُزيك عدة غارات ضد الصليبيين في مستهل عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م فهاجم غزة وعسقلان ثم توجه إلى الشريعة وبيروت وغيرها بحيث

لُقب بأبي الغارات بسبب كثرة غاراته ضد الصليبيين. وأشار المقريزي إلى مهاجمة طلائع للعريش سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، حيث قاد ضرغام أربعة آلاف جندي إلى تل العجول وحارب بهم الصليبيين في النصف من صفر وهزمهم. وأشار ابن القلانسي إلى اشتباك جيش طلائع مع الصليبيين في غزة وعسقلان وأعمالهما. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٣٠-٣٣٢. وأيضًا: ابن القلانسي (أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، نشره ووضع فهارسه وقدم له هـ.ف. آمدروز، ليدن، ١٩٠٨م، ص٣٥١.

٣٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٣٣-٢٣٦.

٤٠- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٣-٥٤.

٤١- قارن ما ساقه كل من عمارة والمقريزي عن أحداث مقتل إخوة ضرغام والتوافق في يوم مقتل ضرغام وطي بن شاور: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٥-٧٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٧١.

٤٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٥-٧٦. وأيضًا: انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٧٢.

٤٣- انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز، بيروت، ١٩٩٠م، جـ٤، ص٣٠١، ٢٦٤؛ جـ٥، ص١٣٧-١٣٨، ١٤٠، ٤٥٣. وأيضًا::

Kubiak, "The Burning of Misr al- Fustat in ١١٦٨, A Reconsideration of Historical Evidence", in *Africana Bulletin*, (Warsaw, ١٩٧٦), pp.٥١-٦٤.

٤٤- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٧٢.

٤٥- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٩٢-١٥٤.

٤٦- عن اعتلاء صلاح الدين الوزارة انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٠٢؛ أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٠٧-٤٠٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٧، ص١٥٣-١٥٥.

٤٧- يقول المقريزي عن موقف ضرغام من أمراء البرقية: "...وفيها قتل ضرغام عدة من الأمراء في دعوة جمعهم فيها، وأعد لهم من خرج على الجميع وقتلهم في داره". انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٣.

٤٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٢٨٧-٢٩١.

٤٩- عن ملابسات مقتل شاور انظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٣٩-١٤٠؛ أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٠٢-٤٠٨، ٤٣٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٣٠٢-٣٠٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٤٣٩-٤٤٨.

٥٠- ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص١٢٣-١٢٤؛ أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٥٧١-٥٧٤.

٥١- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٢-٦٣.

٥٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٤-٥٦.

٥٣- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨٨-٨٩.

٥٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨١-٨٢.

٥٥- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩.

٥٦- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩-٨٠.

٥٧- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩-٨٠.

٥٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١٩٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٩٩.

٥٩- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٥٩.

٦٠- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٧-٦٨.

٦١- عن تفاصيل تلاعب شاور بكل من نور الدين وعموري في سعيهما لسيرطة على مصر انظر: حجازي عبد المنعم: السياسة الخارجية، ص١١٦-١٧٦.

٦٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٣-٥٤.

٦٣- الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣١٥. وعن دور القاضي الفاضل في دعم صلاح الدين ودولته انظر: حجازي عبد المنعم سليمان: أصداء التخطيط السياسي والعسكري لدى صلاح الدين من خلال رسائل القاضي الفاضل وديوانه، حولية كلية الآداب، جامعة المنوفية، ، العدد الثالث والثمانون، أكتوبر ٢٠١٠، ص٢٩٣-٣١٧.

٦٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨٤-٨٥.

٦٥- يُعدّ أبو الفتح رضوان بن ولخشي من الوزراء الذين فقدوا كرسي الوزارة بسبب الصراع بين كبار الأمراء والقادة في القصر الفاطمي، وقد حاول العودة إلى منصبه من

خلال الاستعانة بالجبهة الإسلامية في بلاد الشام سواء في حلب أم دمشق بيد أنه فشل بسبب عدم التوافق السياسي بين حلب ودمشق. انظر في ذلك رواية شاهد العيان المعاصر لأحداث تلك الفترة: أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق: فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٣٠، ص١٠-١٨. وأيضاً: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص١١٢، ١٢١، ١٣٧-١٤٠،١٥٧-١٧٣،١٨٢-٢٢٤،٢٦١،٢٥١،١٨٩.

٦٦- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٣.

٦٧- عن المشاكل التي واجهها الملك عموري في حملته الأولى على مصر انظر:
Amalrici, Regis Hierosolymorum, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.٣٧-٣٨; Aymerici, patriarchæ Antiocheni, ad Ludovicum, in RHGF, t.XVI, pp.٦١-٦٢; Gaufredi Fulcherii, procuratoris militæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp.٦٠-٦١; Bertrandi De Blankafort, magistri militiæ Templi, ad Ludovicum, in RHGF, t. XVI, pp. ٨٠-٨١.

٦٨- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١-١٩٩٥م، جـ٤، ص١١٤، جـ٢، ص٣٢٨-٣٣٠؛ فولشر أوف شارتر: الوجود الصليبي في الشرق العربي(الاستيطان الصليبي في فلسطين) ترجمة ودراسة: قاسم عبده قاسم، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٢٦٤-٣٧٠.

٦٩- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨١-٨٢.

٧٠- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٨٥؛ ابن شداد (بهاء الدين المعروف بابن شداد ت ١٢٣٤م/٦٣٢هـ): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٢٣؛ أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٠-٤٢١، ٣٣٧، ٤٢٠-٤٢١، ٥٠١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٦٢-٢٦٣، ٢٦٧-٢٧٣، ٢٧٦-٢٧٨.

٧١- أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٠-٤٢١، ٣٣٧، ٤٢٠-٤٢١، ٥٠١. وأيضاً: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٩.

٧٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨٣.

٧٣- أبو شامة: الروضتين، جـ١، ق٢، ص٤٢٠-٤٢١، ٣٣٧، ٤٢٠-٤٢١، ٥٠١. وأيضاً: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٢٩.

٧٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٨-٧٩.

٧٥ – Richard of Holy Trinity, *Itinerary of Richard I*, (Cambridge, ٢٠٠٠), pp.٧–٨; Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, (ed.) Mas Latrie, (Paris, ١٨٧١), pp.١٥–٢٠. See also: Benjamin of Tudela, The Itinerary of Benjamin OF Tudela, trans. By Marcus Nathan, (London, ١٩٠٧), pp.٧٥–٧٧; Schlumberger, G.,Campagnes du Roi Amaury I de Jérusalem en Egypte, (Paris, ١٩٠٦), pp.١١٦–١٢٤.

٧٦– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٨٧–٨٨.

٧٧– ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٩٥–٩٦؛ الباهر، ص١٣٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٦٧؛ البنداري (الفتح بن علي. من مؤرخي القرن الثالث عشر): سنا البرق الشامي، ١١٦٦– ١١٨٧م/٥٦٢–٥٨٣هـ، تحقيق: فتحية النبراوي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٠–٢١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٨٤.

٧٨– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٦–٦٧.

٧٩– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص١١٩–١٢٠.

٨٠– انظر ملامح مديح عمارة لبني رُزيك: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٢، ٦٨–٦٩.

٨١– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٢٨٧–٢٩١.

٨٢– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٣٠٧.

٨٣– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٣.

٨٤– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٥.

٨٥– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٢–٧٣. وأيضًا: انظر: أبو شامة: الروضتين، جـ١، ص٣٥٦.

٨٦– انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٠١، ٢٦٤؛ جـ٥، ص١٣٧–١٣٨، ١٤٠، ٤٥٣.

٨٧– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩.

٨٨– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٩–٨٠.

٨٩– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٢٨٩–٢٩١.

٩٠– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٢٨٩–٢٩١.

٩١– عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٤٣.

٩٢- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٧.

٩٣- أشار المقريزي إلى ذلك وعده أهم عوامل انهيار ملك بني رُزيك ومن ثم الدولة الفاطمية. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٥٧.

٩٤- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٤-٥٦.

٩٥- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٥٨.

٩٦- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٠-٦١.

٩٧- المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٣٠-٣٣٢.

٩٨- عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٧٣.

قدم المقريزي تفسيرات كثيرة لما قدمه عمارة اليمني مقتضبًا عن هذا الحدث. انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٥٩.

٩٩- يعد يحي بن خياط من كبار رجال الدولة الفاطمية منذ وزارة طلائع بن رُزيك وقد حاول الانقلاب على شاور لتقلد الوزارة ولكنه فشل وقد وردت أغلب أخبار انقلابه لدى عمارة في النكت في مواضع متفرقة. انظر: عمارة اليمني: النكت العصرية، ص٦٧-٦٩، ٧٨-٧٩.

١٠٠- عن تفاصيل العمليات العسكرية التي أعقبت دخول شيركوه الجيزة وحتى أحداث معركة البابين انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٤، ص٥٤-٦١. وأيضًا: فايز نجيب إسكندر: الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين، ص٩٠-١٠٧. وأيضاً:

Schlumberger, *Campagnes*, pp.١٢٥-١٤٨; Amalrich I Koig von Jerusalem", in *Miabeilugem des Institus fur Osterreicbiscbe Gescbicisfasrschung*, XII, (١٨٩١), pp.٤٣٢-٤٨١.

١٠١- عن معركة البابين انظر: فايز نجيب إسكندر: الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين، ص٩٥. وأيضاً:

Rohricht, *Amalrich I*, pp.٤٤٧-٤٤٨; Schlumberger, *Campagnes*, pp.١٣٦, ١٤٢-١٤٣.

* * *